



بعد يومين من حادثة «طائرة حifa»، الطائرة من دون طيار التي ادعت اسرائيل أنها أطلقت من لبنان وأسقطها سلاح الجو قبالة شواطئ حifa، تجاهل رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، الحادثة على رغم تهديدات مسؤولين في حكومته وجنرالات سابقين بالرد الفاسي عليها والدعوة إلى اغتيال الأمين العام لـ «حزب الله»، السيد حسن نصرالله، كما جاء على لسان رئيس بلدية حifa، يوナ ياهف، وهو جنرال احتياط في الجيش.

ولم يكن التجاهل صدفة، مع العلم بأن نتنياهو نفسه كان قد هدد بالرد، في اليوم نفسه الذي أسقطت فيه الطائرة. وعندما راح يتحدث في جلسة حكومته عن المخاطر التي تتعرض لها اسرائيل، هدد حركة «حماس» وكل التنظيمات المسلحة في قطاع غزة التي تطلق الصواريخ على اسرائيل. ولم يهدد فحسب، بل اتخذ قرارات عقابية كإغلاق معبر كرم أبو سالم الذي تنقل عبره المواد الغذائية وغيرها من البضائع الإسرائيلية التي تباع للغزيين، ومعبر بيت حانون، الذي يمر منه يومياً مئات المرضى الفلسطينيين الذين يعالجون في المستشفيات الإسرائيلية. وكل هذا من دون أن ينسى بكلمة حول «الطائرة من دون طيار».

هذا ليس صدفة، لأن هذا التوجه يعكس الأجواء التي تعيشها اسرائيل، في أعقاب هذه الحادثة وما رافقها من أحداث في المنطقة، جعلت اسرائيل تعيش في تناقضات وتقلبات يومية في مواقفها. وكان أبرز هذه التناقضات في الموقف من استخدام السلاح الكيماوي في سوريا وكيفية التعامل معه ارتباطاً بالملف النووي الإيراني.

بدأ الإسرائيليون مرتكبين وعقد نتنياهو، بعد جلسة حكومته، اجتماعاً طارئاً ومطولاً للمجلس الوزاري المصغر، لبحث الملف الكيماوي السوري.

صعد الإسرائيليون تهدياتهم تجاه «حزب الله» وليban، منذ الإعلان عن إسقاط الطائرة، وأصرروا في البداية على تسجيل الحادثة كنقطة ضد حزب الله. ثم وجدوا أنفسهم في حال إرباك بعد نفي «حزب الله» علاقته بالطائرة فراحوا يوجهون الاتهام إلى إيران مباشرة.

وكما هو الوضع خلال السنين الأخيرتين كذلك هذه المرة، فأي حديث عن حادث يتعلق بلبنان يظهر الملف السوري في الأفق وعندما يذكر الإسرائيليون «حزب الله» وسوريا يضيفون إليهما إيران.

قبل يوم من حادثة الطائرة أدخلت إسرائيل نفسها في نقاش مع الولايات المتحدة الأمريكية لدى إعلان رئيس وحدة الأبحاث في الاستخبارات العسكرية، ايتى بارون، ان لدى إسرائيل معلومات استخباراتية تؤكد ان الرئيس السوري، بشار الأسد، استخدم مادة «السيرين» الكيماوية ضد المتمردين.

وأعلنت الولايات المتحدة موافقة نسبية على تقرير بارون، بما يتعلق باستخدام الكيماوي. في هذه الأثناء أعلنت إسرائيل عن إسقاطها طائرة من دون طيار، وقبل أن تعثر على حطامها أو تملك أية معلومات حولها، سواء نوعها ومن أطلقها وإذا كانت تحمل مواد متفجرة وما الهدف منها، حسمت إن الطائرة إيرانية الصنع وأرسلها «حزب الله»، وهو عمل خطير ويحمل في طياته أكثر من رسالة.

وفي نقاش الطائرة أيضا تضاربت المعلومات. مراسل تلفزيوني معروف بقربه من المؤسسة العسكرية أعلن عبر شاشة التلفاز أن الجيش عثر على حطام الطائرة وبقي له أن يفك لغزها، لكن جهات أخرى تجاهلت الخبر ولم تؤكِ أو تنفي إذا تم العثور على حطام الطائرة، وفي الحالتين إسرائيل مربكة، حيث النقاش داخلها يحتمد حول السلاح الكيماوي السوري فيما الاتصالات مع الولايات المتحدة للتنسيق حول الموضوع، وقدرت جهات، رغبت في طي حادثة الطائرة من دون طيار، أن «حزب الله» أراد من إطلاقه هذه الطائرة تغطية الأحداث التي تشهدها سوريا والنقاش حول تدخل «حزب الله» في الداخل السوري.

وكما رأى مسؤول إسرائيلي أن عدم الرد الإسرائيلي على الطائرة من دون طيار يأتي في ظل تشابك الملفات والإرباك في التعامل معها، وخاصة مصلحة إسرائيل في التدخل بسوريا أو عدمها.

لبننة الأرضي السورية:

النقاش الإسرائيلي حول السلاح الكيماوي السوري والتدخل فيه، وصل ذروته في مؤتمر معهد الأبحاث للأمن القومي في تل أبيب، فقد سيطر الملف السوري على معظم أبحاث المؤتمر ونحوه. وعندما تحدث رئيس وحدة الأبحاث في الاستخبارات العسكرية عن استخدام السلاح الكيماوي تجاه المتمردين، كانت مواقف القيادة الإسرائيلية متناقضة ما بين ضرورة تدخل إسرائيلي في سوريا وحسم الموضوع بإسقاط الأسد وموافق تحذر من خطورة أي تدخل إسرائيلي.

وال موقف الذي طرحته بارون، لدى عرضه التقرير الاستخباراتي حول استخدام مادة «السيرين»، أثار لهجة حربية في قاعة المؤتمر. فبارون حذر من خطر نقل هذا السلاح إلى «حزب الله» في لبنان أو جهات إسلامية متطرفة.

وأبدى قلقه حيال الصمت العالمي ودول المنطقة، وقال: «الحديث هنا عن حيازة سوريا ترسانة ضخمة من الأسلحة الكيماوية والصمت أمام استخدام مادة «السيرين» يعني منح الشرعية لاستخدامها». وادعى المسؤول الإسرائيلي أن لدى سوريا أكثر من ألف طن من السلاح الكيماوي وآلاف الرؤوس الحربية، يمكن تفعيلها لاستخدام السلاح الكيماوي.

وبارون وجد مسانداً لموقفه هو رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية السابق ورئيس معهد الأمن القومي، عاموس يدلين، الذي عرض موقفاً واضحاً وصريحاً ومتطرفاً، لم يسبق أن عرضه مسؤول إسرائيلي، فدعا إلى اتخاذ خطوات تضمن تفكيك ما تسميه إسرائيل محور الشر «إيران وحزب الله وسوريا»، من خلال إضعاف الرئيس السوري، بشار الأسد، والعمل على إنهاء ولايته في أقرب وقت، معتبراً سقوط الأسد مصلحة إسرائيل لأنه سيساهم بشكل فعلي وكبير في إضعاف «حزب الله» وإيران.

يدلين رسم أمام الحضور سيناريو للحرب التي يتوقعها في حال دخلت سوريا إلى المعركة، فقال صراحة إن الجيش السوري هو جيش له قدرات وأي حرب معه لا تعني حرباً مع «حزب الله» أو حماس، بل ستكون حرباً فاسية لأن الحرب مع الجيش السوري تعني سقوط سكود على تل أبيب وربما أيضاً صواريخ أكثر تطوراً وخطورة».

لكن جهات إسرائيلية ردت على يدلين بالقول أن النظرية التي تقول أن سقوط الأسد سيكون ضربة قاضية لإيران و «حزب

الله»، هي مجرد نظرية غير مثبتة على الإطلاق وفقدت في السنة الأخيرة مفعولها.

ويرأى الخبير في شؤون الشرق الأوسط، أمنون لورد، فإن العكس هو الصحيح. وقال: «يبدو أنه إذا ما احتفى الأسد وقواته، فستحصل «لبننة» تامة للأراضي السورية وفي داخلها ستتم منظمة «حزب الله» محلية، والإيرانيون سيزدهرون.

إن الوضع القائم، طالما استمر، هو وضع مريح للأميركيين وإسرائيل على سواء». ويرأى لورد، فإن الأمر غير المريح لإسرائيل والولايات المتحدة «أنهما تبحثان عن شيء ما يزين ضميرهما في ضوء اجتياز الخط الأحمر في استخدام سلاح الدمار الشامل. لقد قررت إسرائيل مسبقاً إن خطها الأحمر هو نقل مثل هذا السلاح إلى خارج سوريا، إلى «حزب الله»، مثلاً.

إذا كانت هناك متابعة استخباراتية من النوع الذي كشف النقاب عنه العميد بارون، فإنه توجد إمكانية لتنفيذ هجمات موضوعية وعدم الادعاء بالعمل بشكل عرضي مثلاً تعهد الأميركيون».

لكن رئيس أركان الجيش، بيني غانتس، ذهب إلى أبعد مما يراه لورد ويدلين بكثير، فأعلن أن بلاده لن تنتظر حتى يتم نقل الأسلحة الكيماوية إلى «حزب الله» أو تنظيمات معادية. وفهم من حديث غانتس، إن الحرب قريبة، وحتى يقطع الشك باليقين في حديثه، راح يقول أن جيشه انتشر على طول الحدود مع سوريا وتم تكثيف الدوريات ويستكمل تدريباته على كيفية ضرب سوريا وإحباط كل عملية تهريب أسلحة إلى «حزب الله» في لبنان أو تنظيمات أخرى معادية.

وحتى يقنع غانتس المشاركين في المؤتمر بضرورة توجيه ضربة استباقية تمنع نقل الأسلحة، قال: «سوريا باتت تشكل منطقة عدم استقرار ونشوء حالة سلبية تتطور باتجاه تفكك سوريا، فيما سيطرة الرئيس الأسد آخذة في الاضمحلال مقابل اتساع مركبات عدم الاستقرار وعندما يجري الحديث عن أسلحة لها أهمية استراتيجية كبيرة يتضاعف خطر انتقالها إلى «حزب الله» وجهات معادية تخطط لاستخدامها ضد إسرائيل».

استنذاف متبادل:

أمام النقاش المحمد في الملف السوري، تجد إسرائيل نفسها في معضلة حول كيفية التعامل وإذا كان لمصلحتها التدخل في الأحداث في سوريا. فبالنسبة إليها، إذا بقي الأسد فإنها ستضمن الهدوء النسبي، أما إذا سيطرت جهات إسلامية متطرفة وإرهابية، فإن الوضعية ستتقلب رأساً على عقب وحتى إن حسابات إسرائيل في الحرب مع سوريا لن تكون حرباً بين جيوش إنما مواجهة منظمات إرهابية.

الباحث في معهد الأمن القومي، رؤوفين بارك، رأى أن أي تدخل إسرائيلي يعمل في غير مصلحة إسرائيل. ودعا متذمذمي القرار إلى إعادة تشكيل الرؤيا الإستراتيجية بما يضمن أن تكون شأنها سياسياً خالصاً.

وقال: «أمام الوضع الذي تشهده سوريا يتوجب أن يقتصر الدور الإسرائيلي على المستويات الاستخباراتية في تقديم المساعدة سراً بمعطياتها وتوصياتها».

وانتقى بارك التقرير الذي قدم حول استخدام الكيماوي في سوريا، مشيراً إلى أن ما يظهر من مواقف سياسيين وعسكريين أن إسرائيل تفضل وضع استنذاف متبادل وعدم حسم بين النظام السوري و«الجيش السوري الحر» المؤلف من المنظمات الإرهابية الإسلامية المؤيدة للفايدة وجبهة النصرة.

وأضاف متهكماً: «أن روایة الجهات الاستخباراتية في الجيش الإسرائيلي المناقضة لموقف الأميركيين، ستحضر على إسقاط النظام وإمساك الإسلاميين في سوريا بتدخل غربي كما يتضمن شرط الرئيس الأميركي باراك أوباما. وهذه الصيغة الأخلاقية المعلنة على السنة أولاد محقة اليهود موجهة إلى الشعب السوري المعادي تعمل بغير المصلحة الإسرائيلية»، على حد رأي بارك الذي أثار حديثه نقاشاً بين جهات مختلفة، خاصة لدى مناقشة الولايات المتحدة التقرير الاستخباراتي الإسرائيلي وانتقاد عملية عرضه.

«سلاح يوم القيمة»، هكذا وصف سياسيون إسرائيليون السلاح الكيماوي في سوريا وذلك للمساهمة في دعم موقفهم الداعي إلى إطلاق ضربة إسرائيلية قوية ضد هذا السلاح.

إيتان هابر، الذي شغل منصب مدير مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية، السابق، إسحاق رابين، وكانت له مساهمات في مفاوضات السلام مع سوريا، وصف السلاح الكيماوي بالسلاح الاستراتيجي الذي يهدد إسرائيل، وقال: «إسرائيل ترى بهذا السلاح «سلاح يوم القيمة»، لذا مهم جداً بالنسبة إليها إلا يكون في أيدي العدو.

ولكن بعد أن تجاوز السوريون الخط الأحمر الذي وضعته إسرائيل والولايات المتحدة، يطرح السؤال: هل ننتظر ليتدخل الأميركيون عسكرياً ويسفكوا دمهم من أجلنا، أم ننتهز الفرصة ونرسل سلاح الجو الإسرائيلي لتخلصنا من عقاب السلاح الكيماوي؟

ويجيب هابر: «يكاد لا يوجد خيار من وجهة النظر الإسرائيلية لأنه لا يجوز على أي حال من الأحوال أن يقع السلاح الكيماوي في أيدي منظمات إرهابية مجنونة كالقاعدة وأشباهها.

والاستنتاج هو أننا في إسرائيل على شفا ما يبدو ويسمع أنها حرب، المتوقع أن تنتهي الحرب الأهلية في سوريا كي يتحدوا على إسرائيل.

ولكن عندما رأى رئيس الحكومة، نتنياهو، أن النقاش حول سوريا أصبح قضية أساسية ليس في إسرائيل وحدها بل في الغرب أيضاً، بدأ يتراجع. وأرسل النائب تساحي هنغي، المقرب منه، ليحذر من الانشغال الزائد في الموضوع السوري قائلاً إنه يغطي على مشكلة التسلح النووي الإيراني.

ويحذر من مغبة هذا التطور ويقول إن على العالم ألا ينشغل في الموضوع السوري - «فهناك قتل حتى الآن 80 ألف سوري، من دون أن يتدخل أحد بشكل جدي. فما الجديد؟».

وطالب بأن يركز الإسرائيليون والغرب على مكافحة التسلح الإيراني باعتباره القضية المحرقة والخطيرة. وقد بدا واضحاً أن هنغي يتكلم باسم نتنياهو وليس باسمه وحده في هذه القضية، حيث إن مكافحة النووي الإيراني هي قضية القضايا لدى رئيس الحكومة الإسرائيلي، التي يريد أن يتجدد لها العالم وأن يتبنى الغرب موقف إسرائيل القائل إن طهران تجاوزت الخط الأحمر في تطوير السلاح النووي ويجب أن يطرح الخيار العسكري في شأنها بقوة أكثر من أي وقت مضى.

الحياة

المصادر: